فى الأرض المقدسة ، ولذا يستمر فى ترديده لجغرافية الأماكن التى يحن إليها بين الكثبان ، والحمى والشِّعب (٦) ، والجبل (١٠) ، والوادى (١٥) ، والنشز (١٥) ، وأبيات الحمى (٣) ، وكأنه يعكس بذلك حجم إدراكه لطبيعة تلك الأرض التى كاد يتوحد معها ، ليصبح قطعة منها ، فهو يعيش ، إذن - غربة نفسية ، تعكس حجم معاناته ، ولذلك راح يعيد تصوير حنينه فى مشهد آخر ، نراه مكررا من قبل عند عبد يغوث ، ومالك ، فى ذكر الأهل والجيران ممن يستريح لهم ، ويحس الغربة فى نأيهم عنه ، وكأنه يبدو عليهم عاتباً ، ولهم لائماً ، خاصة حين يخاطبهم فى لهفة المشتاق اللائم معا :

وقولوا لجيرانٍ على الخَيفْ من منـــىً تراكم من استبدلتمُ بجواريـــــا
ومن حلَّ ذاك الشِّعب بعدى وأرشقـت لواحظُه تلك الظباء الجوازيـــــا
ومن ورد الماء الذى كنـــــتُ واردا به ورعىَ الروضَ الذى كنتُ راعيـــا

ليبلور بذلك خلاصة موقفه إزاء تلك التساؤلات القلقة الحائرة ، وقد كشفت أيضا جوانب من وعيه وحبه لمنطقة الخَيف فى «منى » ، وتلك الشعاب الضيقة ، وذلك الماء الذى ورده ، والروض الذى رعاه ، وهو ما يبلور خلاصته ثانية فى التصريح بتأكيد بتلك اللهفة التى لايكاد يعرف لها حدودا :

فوالهفتى كم لى علي الخيف شهقـة تذوب عليها قطعة من فؤاديـــا

وكأنه يجمع فى لوحات المقدمة على طريقة الآخرين ، بين مشاهد الحنين يدفعه إليه ذلك الإلحاح النفسى الذي يعكسه توالى أفعال الأمر ، وتردد صيغ الرجاء ، وتزاحم ذكريات الماضى على نفسه ، ثم ترجمة ذلك كله فيما يسكبه من الدمع ، وما يصوره من شهقة الفؤاد ، أو البحث عن دواء لدائه ، أو التماس الطبيب والرُّقى ، أو ما غرق فيه من عرض لصور البداوة فى البيتين (٦،٢) ، أو ما ردَّده من خصوصية الأماكن المقدسة (منى ، الجمار ، صلاة الجمع) ، إذ يبدو أشد ما يكون انشغالا بتلك المناسك التى أوقف عليها الأبيات (٥ ، ١٢ ، ١٦) إلى هذا الاستطراد فى معاودة سؤال الركب والركبان (١٩، ٢٠) ، إلى تبرير حيرته إزاء كل من تلك التساولات ، بما يقربه من عالم الرثاء ، وهو ما صاغه فى هذا المعنى الحكمى العام :

ومن يسأل الركبان عن كل غائـــب فلابد أن يلقى بشيراً وناعيـــا